

كتابه: " الطب النفسي: بين الأيديولوجيا والتطور " الفصل الثاني (الحلقة 3)



نشرة " الإنسان 2019/09/29

السنة الثمانية عشرة - العدد: 4411

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

yehiatrakhawy@hotmail.com

الأيديولوجيا والوعي:

من معظم التعريفات السابقة وما تلاها من إشارات يمكن أن نتبين أن الأيديولوجيا ليست بالضرورة ماثلة ظاهرة في الوعي المتاح، بل إنها في واقع الأمر غائبة في الداخل تتحكم علماء وممولين، أطباء ومتعالجين، غائبة داخل داخلنا دون أن ندري عادة، بل إن الأيديولوجيا المعلنة قد تكون أقل تأثيراً من تلك الأيديولوجيا الغائبة الخفية لأنها على الأقل، قابلة للحوار، وربما التغيير، حتى تلك الأيديولوجيات الظاهرة التي يمكن أن تعلن على الملأ مثل الموقف الديني أو الموقف السياسي أو الاقتصادي، بل حتى الموقف العرقي والثقافي، حتى هذه الأيديولوجيات، يمكن أن تخفى وراءها عكس ما هي، أو غير ما هي.

إن التأثير الأقوى في الممارسة الكلينيكية خاصة، هو للأيديولوجيا الخفية لأنها تؤثر على صاحبها، بشكل أقوى من الأيديولوجيا المعلنة ونعيد من جديد: إنه حتى الذين ينكرون أنهم ينتمون إلى أيديولوجيا معينة هم ينتمون إلى أيديولوجيا قد تكون أقوى وارسخ من كل الأيديولوجيات الشعورية المعلنة، إن هذه الأيديولوجيات الخفية يمكن أن تقرر للطبيب النفسي من بداية ممارسته، أو أثناء تطور ممارسته تحت كل التأثيرات المعلنة والخفية السابق الإشارة إليها تقرر له أياً (أو كلاً) مما يلي:

المدرسة (النفسية) التي يفضلها وتقتنع

الأسلوب العلاجي الذي يمارسه

نوع التدريب الذي يكمله والذي لا يكمله

مفهوم "الصحة النفسية" الذي يقتنع به دون غيره

التقسيم (التصنيف) الفئوي للأمراض الذي يفضل أن يتبعه

الهدف من منظومة العلاج ككل

المحكات التي يقيس بها تقدم مرضاه على مسار العلاج

ولا يخفى بعد ذلك أنها هي - غالباً - نفس الأيديولوجيا التي تصبغ حياته الخاصة، وتوجه خطواته

إلى مساره الذي اختاره، عادة على مستوى من الوعي غير محدد له تماماً.

وبعد

من كل ذلك يتبين لنا مخاطر الممارسة العمياء تحت اسم الموضوعية، أو حتى الإنجاز العلمي الأحدث، إن أي أسلوب طبي أو طبي نفسي أو تحليل نفسي، وراءه نوع من الأيديولوجيا، وبالتالي ينبغي أن يعامل على أنه كذلك، وكل هذا يؤثر في الممارسة الكلينيكية بشكل مباشر أو غير مباشر، مرة أخرى: نحن لا نعالج مرضانا إلا بما هو نحن.

الأيديولوجيا والمدارس النفسية

أن الأيديولوجيا ليست بالضرورة ماثلة ظاهرة في الوعي المتاح، بل إنها في واقع الأمر غائبة في الداخل تتحكم فينا مرضى وأصحاء، علماء وممولين، أطباء ومتعالجين

إن الأيديولوجيا المعلنة قد تكون أقل تأثيراً من تلك الأيديولوجيا الغائبة الخفية لأنها على الأقل، قابلة للحوار، وربما التغيير

حتى تلك الأيديولوجيات الظاهرة التي يمكن أن تعلن على الملأ مثل الموقف الديني أو الموقف السياسي أو الاقتصادي، بل حتى الموقف العرقي والثقافي، حتى هذه الأيديولوجيات، يمكن أن تخفى وراءها عكس ما هي، أو غير ما هي

تمثل كل مدرسة من مدارس علم النفس أو طريقة لممارسة التطبيب والعلاج النفسى، تمثل كل واحده من هذه وتلك منظومة متكاملة تحدد أبعاد ما هو "إنسان" ثم ما هو "صحة نفسية"، وما هو "مرض"، ثم عند التطبيق العلاجي: أى كل ما هو "علاج"، فإن كل مدرسة تفعل ذلك بوتقانية ويقين يؤثر فى فهم المرض والإمراضية، ومن ثم يرسم طريق العلاج، كما يتم تحديد محكات الشفاء بشكل أو بآخر (2) الخلاصة:

أعتقد أن كل ذلك يمكن أن يفيد فى أن نحذر من تلك الأيديولوجيات التى تفرض علينا، تحت عناوين تبدو أحيانا تنويرية إنسانية مثل ما شاع عن "حقوق الإنسان" (المكتوبة) وليست حقوقه الحقيقية أو الكاملة، ومثل منظومات "نوعية الحياة" .. و"مجتمع الرفاهية" .. إلخ، وأيضا مثل ما تشيعة مؤسسات العلم السلطوى من أحكام، وثوابت وإحصاءات، وتقارير حيث أن أغلبها قد تكون أيديولوجيات منحازة إلى القرش والسلطة، لا إلى الحياة ولا إلى الإنسان.

الإيمان بالغيب والأيديولوجيا المفتوحة:

رؤية أخرى خطرت لى من خلال هذه الحيرة تنظيراً ومراجعة، وقد سبقت الإشارة إليها، لكننى سوف أعيدها لأهميتها وهى كالتالى:

كنت دائما أفهم الإيمان بالغيب، وأوصل فهمى هذا لمن يريد، باعتبار أنه الباب الواسع لتجدد الإبداع، وليس كما شاع: للتسليم بالخرافة.

خطر ببالى الآن أن الإيمان بالغيب يشمل كذلك ما يمكن أن يسمى "الأيديولوجيا المفتوحة"، حتى لو بدا فى التعبير مغالطة أو تناقضا، فأنا أعنى به ما يلى:

* ما دام أى إنسان لا يمكن أن يعيش إلا وفى خارجه أو على الأقل: فى داخله، (يتجلى او لا يتجلى)، برنامج ما، يحدد خطواته وأهدافه وطريقه فى مرحلة ما، فعليه أن يقبل ذلك ويجتهد فى التعرف عليه دون تعسف أو تعصب أو جمود، وهذا ما يخص الكلمة الأولى "الأيديولوجيا".

* وما دام الإنسان - فى نفس الوقت - كائن ينمو باستمرار، ومن ثم يتغير باستمرار، فعليه أن يسمح لموقفه السالف الذكر (تحت اسم الأيديولوجيا أو تحت أى اسم مرادف) أن يتحرك بمسئولية فاتحا وعيه لكل الاحتمالات وهذا ما يخص الصفة التى أضفتها للأيديولوجيا - هنا- أعنى: "المفتوحة".

وانى أعتقد أن هذا المبدأ لو أحسن تطبيقه فإنه يمكن أن يتيح مساحة أرحب لممارسة التطبيب النفسى أكثر إبداعا وأجمل فنا وأنجح عاقبةً.

الأيديولوجيا والأسطورة الذاتية:

نلاحظ فى التعاريف السابقة للأيديولوجيا غلبة ما هو "فكرة"، و"أفكار"، و"فهم"، و"مفاهيم"، و"نظريات"، وما شابه، وكل ذلك ينبع من نشاط النصف الطاعى من المخ الأحدث، ولا شك أن ذلك يؤثر تأثيرا مباشراً على منظومة المعالج المعرفية إلا أنه ليس كل ما يمثل "العامل العلاجي" فى العلاقة بين المعالج والمريض حيث أن العلاقة تشمل أبعاداً وأعماقا من الوعى تتجاوز مجرد المنظومة الفكرية الظاهرة حيث تتواصل العلاقة ويتم الحوار على مستوى الوعى البينشخصى والوعى الجمعى فى العلاج الجمعى وعلاج الوسط، وطول الوقت، وبالرغم من أن المنظومة الفكرية تسهم فى حركية مستويات الوعى المختلفة إلا أن ما يجمع كل المستويات هو أقرب إلى ما يسمى "الأسطورة الذاتية" التى تميز أعماق وأبعاد كل فرد متميز عن كل فرد آخر.

وللأسف، فإن هذا المنطق، وهذا المصطلح هو بعيد كل البعد عن تدريب وشحن مهارة المعالج، وأنا لم أتبينه بوضوح إلا من خلال العلاج الجمعى بوجه خاص، ثم النقد الأدبى.

.....

ونعرض الملحق الأسبوع القادم

إن التأثير الأقوى فى الممارسة
الكلينكية خاصة، هو
للأيديولوجيا الخفية لأنها تؤثر
على صاحبها، بشكل أقوى من
الأيديولوجيا المعلنة

حتى الذين ينكرون أنهم
ينتمون إلى أيديولوجيا معينة
هم ينتمون إلى أيديولوجيا قد
تكون أقوى وأرسخ من كل
الأيديولوجيات الشعورية
المعلنة

إن أى أسلوب طبي أو
طب نفسى أو تحليل نفسى،
وراءه نوع من الأيديولوجيا،
وبالتالى ينبغى أن يعامل على
أنه كذلك، وكل هذا يؤثر
فى الممارسة الكلينية بشكل
مباشر أو غير مباشر

أن العلاقة تشمل أبعاداً
وأعماقا من الوعى تتجاوز
مجرد المنظومة الفكرية
الظاهرة حيث تتواصل العلاقة
ويتم الحوار على مستوى الوعى
البينشخصى والوعى الجمعى
فى العلاج الجمعى وعلاج الوسط،
طول الوقت

[1] - يحيى الرخاوى: "الطب النفسى: بين الأيديولوجيا والتطور" منشورات جمعية الطب النفسى التطورى (2019)،

والكتاب موجود فى الطبعة الورقية فى مكتبة الأنجلو المصرية وفى منفذ مستشفى دار المقطم للصحة النفسية شارع 10، وفى مركز الرخاوى للتدريب والبحوث: 24 شارع 18 من شارع 9 مدينة المقطم، كما يوجد أيضا حاليا بموقع المؤلف، وهذا هو الرابط www.rakhawy.net [2] - وسوف نتناول بعض ذلك فى ملحق مستقل عن بعض المدارس فى نهاية هذا العمل

إرتباط كامل النص:

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD290919.pdf

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2019 ج1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار السادس)

الشبكة تطفئ شمعتهما الثامنة عشر وتدخل عامها التاسع عشر من التأسيس

18 عاما من الكدح... 61 عاما من التواصل "

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

"نحو لياقة نفسانية أفضل لحياة طيبة"

الصفحة العلمية للدكتور جمال التركي

تسجيل الاشتراك

www.facebook.com/turky.PsyFitness

مؤسسة العلوم النفسية العربية

جائزة " قتيبة شلبي " لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2019

تتشرفه شبكة العلوم النفسية العربية بإطلاق اسم:

" البروفيسور قتيبة شلبي "

(الطب النفسي، العراق / أمريكا)

على جائزتهما للعام 2019 المخصصة للأعمال العلمية في الطب النفسي

تقديرا لمسيرته العلمية المميزة

واعترافا لما قدمه من خدمات جليلة للطب النفسي الشرعي على المستوى العالمي

دعوة لتقديم الترشيحات للجائزة

الترشح للجائزة من بداية من 01 جانفي 2019 الى 30 نوفمبر 2019

شروط الترشح

www.arabpsynet.com/Prizes/Prize2019/APNprize2019.pdf

ارتباطات ذات صلة

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com/arabpsynet.php?p=2>

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على الفيس بوك

<https://www.facebook.com/Arabpsynet-Award-289735004761329/?ref=bookmarks>